منهج الشيخ رحمة الله الهندي في الاستدلال بالبشارات على نبوة النبي ﷺ من خلال كتابه إظهار الحق-

Sheikh Rahmatullah Al-Hindi's approach to proving the prophethood of the Prophet (peace and blessings be upon him) through his book, Izhar Al-Haqq

10.35781/1637-000-130-003

د. موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي*

*الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
بكلية الشريعة والقانون بجامعة تبوك - المملكة العربية السعودية

الملخص

يتناول هذا البحث منهج الشيخ رحمة الله الهندي في الاستدلال بالبشارات على نبوة النبي ﷺ. وقد أبرز الباحث فيه سيرة الشيخ رحمة الله الهندي، وأبرز صفاته الشخصية والعلمية، ثم أبرز القواعد المنهجية التي استخدمها في الاستدلال بالبشارات، وختم ذلك ببيان نموذجين تطبيقيين من البشارات الواردة في العهد الجديد والقديم. وقد استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي، وتوصل إلى عدد من النتائج، ومنها: أن الشيخ رحمة الله الهندي يعد رائد مدرسة النقد للعهد القديم والجديد في العصر الحديث، وأنه لم يكن ناقلاً ومقلداً لمن سبقه، بل كان متميزاً بالاستقلال الفكري في النقد، وأن كتب العهدين بالرغم من تحريفها تتضمن بشارات عديدة بنبوة النبي ﷺ.

الكلمات المفتاحية: منهج، رحمة الله الهندي، الاستدلال، البشارات، نبوة النبي ﷺ.

Sheikh Rahmatullah Al-Hindi's approach to proving the prophethood of the Prophet (peace and blessings be upon him) through his book, Izhar Al-Haqq

Dr.Musa Agily Ahmed Alshikhy

Abstract

This research examines Sheikh Rahmatullah al-Hindi's approach to inferring the prophecies of the Prophet (peace and blessings be upon him) from the signs. The researcher highlights Sheikh Rahmatullah al-Hindi's biography, his most prominent personal and scholarly qualities, and the most important methodological rules he used in inferring the signs. He concludes by presenting two applied examples of the signs contained in the Old and New Testaments. The researcher arrives at several conclusions, including: Sheikh Rahmatullah al-Hindi is considered a pioneer of the school of criticism of the Old and New Testaments in the modern era. He did not merely transmit or imitate those who preceded him, but was distinguished by his intellectual independence in his criticism. He also notes that the books of the Old and New Testaments, despite their distortion, contain numerous signs of the Prophet's prophecy.

Keywords: Methodology, Rahmatullah al-Hindi, Inference, Signs, Prophethood of the Prophet (peace and blessings be upon him)

.

ISSN : 2410-1818

المقدمـــــــــــــــــة

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل لبيان دينه وشرعته، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وبعد:

فقد كانت بعثة النبي ﷺ حدثاً عظيماً، وعلامةً فارقةً في تاريخ البشرية، حيث بعث على فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبل، واندراسٍ من آثار النبوة، فأخرج الله به العباد من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن عبودية الأوثان إلى عبادة الملك الديّان، وكان جميع الأنبياء السابقين قد بشَّروا بمجيئه، وأخذ الله عليهم الميثاق على الإيمان به ونصرته إن بعث فيهم، ولم تزل صفته ﷺ موجودةً في كتب أهل الكتاب، واسمه مكتوبًا عندهم، بل كانوا يعرفونه بصفته كما يعرفون أبناءهم.

وكانت هذه البشارات في كتبهم كالنور الخافت بين الظلام الكثيف، وكشاهد الحقِّ بين شهود الزور، ولم يزل علماء الكتاب ينكرونها بشتى طرق الإنكار، وأمام هذا الإنكار تبقى الحقيقة ناطقةً بأنهم (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، وقد بلغت هذه المعرفة حدَّ الاستفتاح به على القوم الكافرين من جيرانهم من أهل المدينة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه: يوجد أكثر من مائة موضعٍ في كتب أهل الكتاب تدلُّ على البشارات[1]. وكانت هذه البشارات من أعظم أسباب إسلام من كتب الله له الخير منهم؛ كعبدالله بن سلام من اليهود[2]، والنّجاشي[3] من النصارى، وسلمان الفارسي[4] من الفرس، وغيرهم.

ولمـَّا كانت هذه البشارات أحد المسالك العظيمة في إثبات النبوة، وكان علماء أهل الكتاب ينكرونها لأجل إنكار النبوة؛ فقد اهتمَّ علماء المسلمين سلفاً وخلفاً ببيانها، والتنقيب عنها في كتب أهل الكتاب، والاستدلال بها على صحة النبوة، والردِّ على شبهات أهل الكتاب حولها.

---

[1] الجواب الصحيح: (197/5).

[2] ابن الحارث، إمام وحبر من أحبار اليهود، مشهود له بالجنة، كان حليفاً للأنصار ومن خواص أصحاب النبي ﷺ، وممن شهد فتح بيت المقدس، وذكر ابن سعد أنه من نسل يوسف عليه السلام، توفي بالمدينة سنة 43هـ. (ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: (4/59-65).

[3] اسمه أصحمة، ملك الحبشة، ومعدود في الصحابة رضي الله عنهم، حسن إسلامه، ولم يهاجر، وهو تابعي من وجه، وصحابي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب. (سير أعلام النبلاء: (428/1).

[4] يكنى أبا عبدالله، أسلم عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، وكان يقرأ الكتب، أول مشاهده الخندق، توفي بالمدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه. (الطبقات، ابن سعد: (139/8).

ISSN : 2410-1818

ومن أشهر علماء المسلمين في العصر الحديث ممن ناظر أهل الكتاب، وانتقد كتبهم، واستدلَّ عليهم بهذه البشارات؛ العلامة رحمة الله الهندي الذي ألّفَ كتابه العظيم «إظهار الحق»، وعقد فيه مبحثاً نفيساً عن البشارات بالنبي ﷺ في كتب العهدين، بما لا يكاد أن يوجد له نظيرٌ فيمن سبقه، وقد تميز بمنهجٍ علميٍّ فريدٍ في الاستدلال بهذه البشارات على نبوة النبي ﷺ، والردِّ على شبهات أهل الكتاب حولها. وقد رأى الباحث -بعد استخارة الله تعالى- أن يفرد هذا الموضوع بدراسةٍ علميةٍ مستقلةٍ تبرز منهج الشيخ في الاستدلال بهذه البشارات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع: تبرز أهمية الموضوع في كونه يمثل جانباً مهمًّا من جوانب الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والردِّ على خصومها بمنهجيةٍ علميةٍ دقيقة، منضبطةً بضوابط الشريعة، ومستندةً إلى الأصول العلمية الصحيحة في الجدل والمناظرة.

أسباب اختيار الموضوع التفصيلية: يعود اختيار هذا الموضوع إلى جملةٍ من الأسباب، وهي:

1- الوقوف على سيرة الإمام المجاهد رحمة الله الهندي، وجهوده في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والردِّ على المنصِّرين.

2- إبراز منهج الشيخ رحمة الله الهندي في الاستدلال ببشارات العهد القديم والجديد على النبي ﷺ.

3- بيان صفات الشيخ رحمة الله الهندي الشخصية والعلمية التي ساهمت في تأهيله لمقاومة المشروع التنصيري الذي قوي في الهند.

4- الوقوف على التطبيق العملي لمنهج الشيخ على بعض البشارات من العهد القديم والجديد، ليستفيد الدعاة المهتمون بالدفاع عن الإسلام أمام المنصّرين.

أهداف البحث:

1- معرفة سيرة الشيخ الذاتية، وجهوده في مقاومة المشروع التنصيري في الهند.

2- معرفة أهم الصفات الشخصية التي ساهمت في نجاح مشروعه في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

3- إبراز منهج الشيخ في الاستدلال بالبشارات على نبوة النبي ﷺ.

4- تطبيق نموذجين تطبيقيين من أهم بشارات العهد القديم والجديد.

ISSN : 2410-1818

أسئلة البحث:

1- ما هي سيرة الشيخ رحمة الله الهندي؟ وما هو موقفه من التنصير في الهند في العصر الذي عاش فيه؟

2- ما هي أبرز صفات الشيخ التي ساهمت في نجاحه في الدفاع عن العقيدة الإسلامية؟

3- ما هي أهم القواعد المنهجية التي سار عليها الشيخ في الاستدلال بالبشارات على نبوة النبي ﷺ؟

4- ما هي أهم البشارات الواردة في العهد القديم والجديد بالنبي ﷺ؟

الدراسات السابقة:

لم أجد -بحسب البحث- دراسةً علميةً مستقلةً عن منهج الشيخ في الاستدلال بالبشارات الواردة في العهدين القديم والجديد على نبوة النبي ﷺ، وإنما هناك دراساتٌ لها تعلّقٌ بالموضوع، من جهة النقد العام لكتب العهدين، أو للإنجيل خاصة، ومنها:

1- دراسة بعنوان: «رحمة الله الهندي الكيرانوي وكتابه إظهار الحق: النقد الإسلامي للعهد القديم». للأستاذ الدكتور: عبدالكبير حسين صالح، قسم الدراسات والمسيحية ومقارنة الأديان بمعهد العلوم الإنسانية والإدارية والاجتماعية، جامعة ولاية كوارا - نيجيريا، نشر في مجلة الحكمة، عدد: 9، الجزء: 2، 2017م. وهذه الدراسة ركزت على التعريف بالمؤلف، ومؤلفاته، لاسيما كتاب إظهار الحق، ولم تذكر منهجه في الاستدلال بالبشارات على نبوة النبي ﷺ، ولم تذكر شيئاً من هذه البشارات، وأغلب مادة بحثه منقولٌ من مقدمة محقق كتاب إظهار الحق: الدكتور محمد ملكاوي.

2- دراسة بعنوان: منهج الشيخ رحمة الله الهندي في نقد الإنجيل، للدكتور أحمد مقبل حسان، قسم علم الأديان، جامعة تعز - اليمن، نشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلد: 37، عدد: ديسمبر، 2019، وهذا البحث ركز على نقد الإنجيل عموماً، ولم يذكر شيئاً عن منهج الشيخ في الاستدلال بالبشارات، أو يذكر شيئاً منها.

ISSN : 2410-1818

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون بناؤه في مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه وخطواته.

المدخل: ويشمل وصف البيئة التي عاش فيها الشيخ رحمة الله الهندي.

المبحث الأول: حياة الشيخ، وجهوده في مقاومة التنصير، وصفاته الشخصية والعلمية. وفيه مطلبان: الأول: حياة الشيخ رحمة الله وجهوده في مقاومة التنصير. والثاني: صفات الشيخ الشخصية والعلمية.

المبحث الثاني: القواعد المنهجية في الاستدلال بالبشارات عند الشيخ رحمة الله. وفيه مطلبان: الأول: القواعد العامة (الخارجية). والثاني: قواعد النقد الذاتي للنص.

المبحث الثالث: ويشتمل على نموذجين تطبيقيين من البشارات. وفيه مطلبان: الأول: بشارةٌ من العهد القديم. والثاني: بشارةٌ من العهد الجديد.

الخاتمة: وتشمل بيان أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وبعض التوصيات المقترحة.

وذُيِّلَ البحث بفهرسٍ للموضوعات وآخر للمراجع.

منهج البحث وخطواته:

استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي لبيان سيرة الشيخ، وجهوده، وصفاته الشخصية والعلمية، والمنهج الاستقرائي، لبيان أهم القواعد المنهجية -التي ظهرت للباحث- في استدلال الشيخ رحمة الله بالبشارات على النبوة، والمنهج التحليلي في تحليل البشارات المختارة الواردة في العهدين وتطبيق القواعد المنهجية عليها.

ISSN : 2410-1818

خطوات البحث:

1- جمع المادة العلمية من كتاب إظهار الحق بصفةٍ رئيسة، ثم الكتب المتوفرة في نقد الشيخ لكتب العهدين على وجه العموم.

2- تقسيم المادة العلمية حسب مباحث البحث ومطالبه ومسائله.

3- توثيق النصوص من مصادرها بذكر اسم المصدر، والمؤلف، ورقم الصفحة في الحاشية.

4- توثيق نصوص العهدين من مصادرها بذكر اسم السِّفْر، والإصحاح، ورقم الفقرة. والنصوص التي نقلتها من كتاب إظهار الحق نقلتها كما ذكرها المؤلف.

المبحث الأول: حياة الشيخ رحمة الله الهندي، وأبرز سماته

مدخل: البيئة التي نشأ فيها الشيخ رحمة الله الهندي

قبل البدء في الحديث عن حياة الشيخ وسماته الشخصية والعلمية لا بدَّ من الإشارة إلى البيئة التي نشأ فيها، لمعرفة أثرها عليه، ويمكن بيان ذلك كما يأتي.

كانت الهند في القرن التاسع عشر الميلادي-القرن الذي عاش فيه المؤلف- ترزح تحت وطأة الاحتلال الإنجليزي الذي احتلَّ البلاد منذ القرن الثامن عشر الميلادي. وكان المسلمون في ظلِّ الحكومة البريطانية يتعرضون للهجوم من جهاتٍ عديدة، وكان أشدها الهجوم التنصيري؛ حيث رأتِ الحكومة البريطانية أن الإسلام هو العدوُّ الأخطر عليها، وأعلن اللورد "ألنيرو" -حاكم الهند البريطاني- في صراحةٍ تامة: «أن العنصر الإسلامي في الهند هو عدو بريطانيا الأصيل»[1]. وبناءً على ذلك وضعت الحكومة خطةً لتنصير المسلمين في الهند، وأرسلت البعثات التنصيرية إليها، وكان على رأس هذه البعثات القِسّيس "فندر"[2] [3]. فانطلق المنصِّرون يجوبون بلاد الهند طولاً وعرضاً ينشرون الدين

---

[1] تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، أحمد محمود الساداتي: (296/2).

[2] مستشرق أمريكي كاثوليكي، تحول إلى البروتستانتية لأجل الطمع الدنيوي؛ لأنه كان يرغب في استيطان إنجلترا واسترضاء زوجته البروتستانتية، أرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في الهند، فأظهر نشاطاً كبيراً، وعدَّ ثالث أخطر منصر يدخل الهند، وكان أجرأ من طعن في الإسلام ونبيه وكتابه، وألف عدة مؤلفات في الدفاع عن النصرانية وتشويه الإسلام، أخطرها كتاب ميزان الحق، ينظر: (إظهار الحق: المقدمة، ص:24).

[3] ينظر: رحمة الله الهندي وجماعته وجهودهم في مواجهة الحملات التبشيرية (رسالة دكتوراة-جامعة الأزهر)، عبدالخالق محمد سعيد: (27)، نقلاً عن: منهج دراسة الأديان بين الشيخ رحمة الله والقس فندر، شريف مسعد: (25).

ISSN : 2410-1818

النصراني، من خلال تأليف الكتب والرسائل، والمواعظ في الأسواق، والنوادي، والمجامع العامة، ويبينون محاسن النصرانية -كما يرون- ويشككون في دين الإسلام[1]. وفي ظل هذا المناخ المشحون بالهجوم على الإسلام من المنصرين نشأ المؤلف رحمة الله الهندي.

المبحث الأول: حياة الشيخ رحمة الله وجهوده في مقاومة التنصير، وسماته الشخصية والعلمية

المطلب الأول: حياة الشيخ رحمة الله الهندي وجهوده في مقاومة التنصير

المسألة الأولى: حياة الشيخ رحمة الله الهندي

هو محمد رحمة الله بن خليل الله الكيرانوي العثماني، ينتهي نسبه عند الجد الرابع والثلاثين إلى عثمان بن عفان ﷺ.

ولد في قرية "كيرانة" التابعة لدلهي عاصمة الهند في غرة جمادى الأولى سنة 1233هـ، واشتهر أفراد أسرته بالعلم، والطب، والمناصب العالية. بدأ الشيخ تعليمه على يد والده وكبار أفراد أسرته، وأتمَّ حفظ القرآن في الثانية عشرة من عمره، وأتقن اللغات الثلاث: العربية، والفارسية، والأوردية، ثم ارتحل إلى دلهي لطلب التعليم العالي، ثم سافر إلى "لكنو" -وهي مدينة العلم والأدب في ذلك الوقت- فتتلمذ على المفتي سعد الله[2]، ثم رجع إلى كيرانة وتصدّر مجالس العلوم الشرعية والإفتاء، وأسّسَ مدرسةً شرعيةً تخرج منها كبار المدرسين ومؤسسي المدارس في أرجاء الهند.

ولمـّا رأي الشيخ أخطار التنصير المحدقة بمسلمي الهند وزيادة نفوذهم، ترك التدريس ووجه كل طاقته لمقارعة التنصير والردِّ عليهم بالقلم واللسان، فدرس النصرانية من مصادرها الأصلية حتى فاق علماءها المتخصصين فيها، ثم بدأ مشروعاً متكاملاً في مقاومة التنصير بدءاً بالتأليف، ومروراً بالمناظرة، وانتهاءً بالتعليم وتدريب الدعاة، وأصبح بحقٍّ أستاذ الهند في مجال الأديان والردِّ على النصارى.

وفي عام 1857م قامت ثورةٌ ضد الاستعمار الإنجليزي، واستطاع الإنجليز إخمادها بوحشيةٍ بالغة، ونُصِبَتْ أعواد المشانق للعلماء، وأُعْلِنَتْ مكافأةٌ قدرها 1000 روبية لمن يدلُّ على الشيخ، وتمت مصادرة أملاكه، وحُظر بيع كتبه أو طبعها، فاضْطُرَّ للاختفاء، ثم للهجرة من الهند متخفيًّا حتى

---

[1] (ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ -رحمة الله الهندي-، محمد سليم محمد سعيد: (3).

[2] أحد العلماء المشهورين في النحو واللغة، ولد سنة 1219هـ ب «مراد آباد»، وتولى التدريس في المدرسة السلطانية، ثم تولى التأليف، وله مصنفات عدة، ثم تولى الإفتاء 29 سنة، وتوفي سنة 1394هـ، ينظر: نزهة الخواطر: (982/7)

ISSN : 2410-1818

وصل إلى مكة سنة 1278هـ (1862م)، وفيها التقى بشيخ علماء الحجاز أحمد زيني دحلان[1]، والتمس منه الأخير أن يكتب كتاباً في المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى، وأن يُدَرِّسَ في المسجد الحرام، فوافق الشيخ على ذلك وحصل على إجازة التدريس بالمسجد الحرام.

وتوفي الشيخ -رحمه الله تعالى- في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثمانية من الهجرة النبوية، ودفن بجوار قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها (في جنة المعلاة)، كما كان يرغب قبل موته[2].

المسألة الثانية: جهود الشيخ في مقاومة التنصير:

من دراسة حياة الشيخ يتبين أنه تبنَّى مشروعاً متكاملاً لمقاومة التنصير، يقوم -في نظر الباحث- على أربعة أركان، يمكن تفصيلها فيما يأتي:

أولاً: التأليف

بعد دراسة الشيخ للنصرانية من مصادرها الأصلية دراسةً دقيقة، وتمكُّنه منها؛ بدأ مشروعه في مقاومة التنصير من خلال التأليف، وكان التأليف يخدم قضيةً جوهريةً واحدة، هي الدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام موجة التنصير الشرسة والمنظمة والمدعومة بالسُّلطة من الحكومة الهندية

[3]، ولأجل هذه القضية اتَّسَمَ تأليفه بطابع الردود على الكتب ذات التأثير من قبل النصارى، ومن أهم النماذج لكتبه في هذا السياق:

1- كتاب «إزالة الأوهام». وهو أول مؤلفاته، وقد مرض الشيخ بسبب جهوده الشاقة في تأليفه، حتى أنه لم يستطع القيام والجلوس للصلاة، وقد ألَّفَهُ بالفارسية، للردِّ على كتاب «ميزان الحق» للقسيس «فندر»، ويقع في 564 صفحة.

2- كتاب «إزالة الشكوك». وهذا الكتاب يجيب على تسعةٍ وثلاثين سؤالاً من أسئلة النصارى لأهل الإسلام، ويتناول بالأدلة القاطعة إثبات نبوة محمد ﷺ، وأنَّ (الكتاب المقدّس) قد حُرِّف عمداً.

---

[1] (1232-1304)، فقيه ومؤرخ وشيخ علماء الحجاز في عصره، تولى منصب الإفتاء وشيخ العلماء في مكة عام 1288هـ في أواخر الخلافة العثمانية. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة.

[2] (ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ، محمد سليم محمد سعيد، وإظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: د. محمد ملكاوي، المقدمة)

[3] (ينظر: دراسة العقائد في النصرانية، محمد الفاضل اللافي: (129).

ISSN : 2410-1818

3- كتاب «أحسن الأحاديث في إبطال التثليث». أبطل فيه الشيخ عقيدة التثليث بالدلائل العقلية والنقلية.

4- كتاب «إظهار الحق». وهو آخر الكتب التي ألَّفَها الشيخ، وقد كتبه بإشارةٍ من شيخ علماء الحجاز أحمد زيني دحلان، ثم بأمرٍ من خليفة المسلمين السلطان عبدالعزيز خان، ورغبةٍ من رئيس الوزراء خير الدين التونسي، وقد جعله على خمسة أبوابٍ تعدُّ أكبر المسائل التي دار حولها النزاع بين المسلمين والنصارى، وهي: النَّسْخ، والتحريف، وإبطال التثليث وألوهية المسيح، وكون القرآن كلام اللّٰه وصحة الأحاديث، وإثبات النبوة. وقدَّم له ببابٍ مستقلٍّ عن كتب العهدين، وما يتعلّق بهما من جهة السند والمتن. وقد كان أساس هذا الكتاب هو المناظرة الكبرى التي دارت بين الشيخ وبين القسيس فندر، وانتهت بانسحاب القسيس بعد موضوعي التحريف والنسخ[1].

وقد حقّق هذا الكتاب قبولاً عظيماً عند المسلمين، وغير المسلمين، ومن شواهد ذلك:

1- تُرجِمَ الكتاب إلى التركية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية بأمر السلطان عبدالحميد خان، ونُشِرَ في كافة أرجاء المعمورة.

2- أثنى عليه كثيرٌ من علماء المسلين من سائر بلاد الإسلام، وبيّنوا أنه من خير ما أُلِّفَ في الرد على النصارى. يقول عبدالغني عوض الراجحي -عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر-: «ومن خيرة العلماء الذين ألّفوا الكتب في نقد النصارى، وتصدّوا علناً للقساوسة وناظروهم على رؤوس الأشهاد صاحبنا الشيخ رحمة اللّٰه[2].

3- عندما وصلتِ الترجمة الإنجليزية إلى لندن، علَّقَتْ جريدة «لندن تايمز» عليها بقولها: «لو اطلع الناس على هذا الكتاب فإنهم لن يقبلوا الدين النصراني، وبذلك يتوقف نشر الديانة النصرانية»[3].

ثانيا: المناظرة

عندما اشتدت وطأة التنصير، وبلغ المنصِّرون مبلغاً عظيماً في الهجوم على الإسلام، حتى طلبوا علنًا من المسلمين نبذ دينهم، وزعموا أن علماء المسلمين لا يستطيعون الرد عليهم، وكان على رأس هؤلاء المنصرين القسيس فندر مؤلّف الكتاب الشهير «ميزان الحق»؛ عند ذلك رأى الشيخ أن أسلوب المناظرة التي تكون على مرأىً ومسمعٍ من الناس، أنفع في كبح جماحهم، وإبطال ادعائهم، ومن هنا

---

[1] (ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ:(4،32،40)، إظهار الحق، مقدمة المحقق: 18-19).

[2] أكبر مجاهد في التاريخ: (10).

[3] المصدر نفسه: (8).

ISSN : 2410-1818

ظهرت المناظرات كوسيلةٍ فاعلةٍ في إظهار الحق والرد على المنصرين، وكان من أشهرها المناظرة الكبرى بين الشيخ وبين القسيس فندر.

المناظرة الكبرى بين الشيخ وبين القسيس فندر

كان مبدأ هذه المناظرة دعوة من الشيخ رحمة الله إلى القسيس فندر للمباحثة على مرأىً ومسمعٍ من الناس لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وتم الاتفاق على تعيين موضوعات المناظرة، والموعد، والمكان، وكانت موضوعات المناظرة هي: التحريف، والنَّسْخ، والتثليث وألوهية المسيح، والقرآن الكريم، والنبوة. وانعقدتِ الجلسة الأولى في العاشر من شهر أبريل سنة 1854م، في مدينة «أغرة»، وانتهت باعتراف فندر أمام الملأ بوقوع التحريف في سبعة أو ثمانية مواضع من الإنجيل، ثم انعقدتِ الجلسة الثانية في اليوم التالي بحضور ألف شخص، وانتهت بهزيمة فندر ومن معه. وبعدها امتنع فندر من حضور بقية الجلسات معلناً هزيمته أمام الملأ، وبعد هذه الهزيمة المدَوِّية خرج من الهند وعاد إلى بلاده بريطانيا.

ثالثاً: تدريب الدعاة

لم يقتصر دور الشيخ على التأليف والمناظرات، بل قام بتدريب الدعاة على مقاومة التنصير، من خلال تأسيس المراكز لتدريب الدعاة، وكان يؤسِّس المراكز الكبرى في المدن الرئيسة، ثم المراكز الفرعية التابعة لها في بقية القرى. وكان يوجِّه تلاميذه -بعد حصولهم على التدريب والتعليم- إلى الذهاب إلى كلِّ قريةٍ ونادٍ للقيام بواجبهم، وقد أصبحت هذه المراكز القاعدة الصلبة لجميع الجمعيات المهتمة بحماية الإسلام في الهند[1].

رابعا: التعليم

كان التعليم يشغل حيّزاً كبيراً من اهتمام الشيخ منذ أن نال حظّهُ من العلوم الأساسية، فما إن آنَسَ من نفسه القوة على التدريس حتى تصدّر مجالس التدريس والإفتاء، وكان أول أعماله تأسيس مدرسةٍ شرعيةٍ في «كيرانة» درَّس فيها مدةً غير طويلةٍ بسبب النفوذ النصراني[2]. وعندما هاجر إلى مكة وتعرف عليه الشيخ أحمد دحلان طلب منه التدريس في الحرم، وقيَّدَ اسمه في سجلِّ علماء البلد الحرام[3]. ولما استقرَّ في مكة واطَّلع على أحوال أهلها؛ رأى ضرورة وجود مدرسةٍ تدرّس العلوم

---

[1] ينظر: إظهار الحق، مقدمة التحقيق: (17).

[2] ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ: (15).

[3] المصدر نفسه: (47).

ISSN : 2410-1818

بانتظام، ولا تقتصر على العلوم الدينية، بل تدرّس جميع العلوم، ويقوم التعليم على الانتظام، وفق مقرراتٍ ثابتة، تناسب عقول الطلاب، وتكون بلغة العصر، وتقوم على منهج السؤال والمناقشة بين الطالب والمعلم. وقد قيّضَ الله لتحقيق هذا الهدف السيدة «صولت النساء بيغم» - وهي سيدةٌ هنديةٌ فاضلةٌ كانت تملك ثروةً هائلةً جاءت إلى مكة لأداء فريضة الحج -، فأُسِّسَتِ المدرسة الصولتية - نسبةً إليها - وبقيَتْ إلى هذا اليوم. وقد نفع الله بجهود الشيخ العلمية نفعاً عظيماً، وتخرج على يديه كبار الشيوخ والقراء في المسجد الحرام وفي المدرسة الصولتية، وقد تبوأوا - فيما بعد - أرقى المناصب الدينية والدنيوية[1].

المطلب الثاني: سمات الشيخ الشخصية والعلمية

المسألة الأولى: السمات الشخصية

أولاً: الإخلاص

الإخلاص لله تعالى - لاسيما في الأعمال الجليلة من نشر العلم والدعوة وغيرها - من أعظم أسباب التوفيق والهداية للخير، وبلوغ الهدف، وحصول الأثر العظيم في الأمة. واستقراء سيرة الشيخ تشير - فيما يحسب الباحث - إلى عددٍ من القرائن التي تدلُّ على إخلاص الشيخ، ومن شواهد ذلك:

1- عندما هاجر الشيخ إلى مكة، وحضر درس الشيخ أحمد دحلان لم يُظهِر أنه عالم، بل بدا وكأنه من عموم طلاب العلم، ولم يكتشف الشيخ دحلان أمره إلا بعد نقاشٍ جرى بينهما في مسألةٍ علميةٍ تبيّن فيها علم الشيخ ومكانته[2].

2- عندما شرع في تأليف كتابه إظهار الحق أشار إلى أنه كان استجابةً لطلب الشيخ أحمد دحلان، ولم يُشِرْ إلى الخليفة أو رئيس الوزراء في تركيا مع أنهما طلبا منه ذلك، وعندما رُوجِعَ في ذلك من رئيس الوزراء أجاب بأن هذا غَرَضٌ ديني، ولا ينبغي أن يخلط بأمرٍ من أمور الدنيا[3].

---

[1] (أكبر مجاهد في التاريخ: 66-74).

[2] ينظر: المصدر نفسه: (4).

[3] ينظر: المصدر نفسه: (48-49).

ISSN : 2410-1818

3- عندما ذهب إلى القسطنطينية - دار الخلافة - وعرض عليه الخليفة البقاء عنده وإكرامه رفض، وفضَّلَ العودة إلى مكة والبقاء فيها إلى الوفاة، ولم يستخدم شيئاً من الأوسمة التي خلعها عليه السُّلطان طيلة حياته[1].

ولعلَّ هذا الإخلاص كان سبباً في رفع منزلة الشيخ في الأرض، وانتشار علمه في مشارق الأرض ومغاربها، والقبول الذي نالتْهُ كتبه، لاسيما "إظهار الحق" فقد أصبح المرجع الأول في علم الأديان في الوقت الحاضر، واعترف بفضله الخصم والمحبُّ على السواء.

ثانياً: النبوغ والذكاء

تدلُّ سيرة الشيخ رحمة الله على نبوغه المبكر وذكاءه، ومن الدلائل على ذلك:

1- أنه حفظ القرآن وعمره اثنا عشرة سنة، مع أنَّ العربية لم تكن هي لسانه[2]. وبعد أن أتم حفظ القرآن والمبادئ الأساسية في العلم ارتحل مباشرةً إلى دلهي، وهي عاصمة العلم والفنون في ذلك الوقت، وأخذ العلم عن أفاضل العلماء فيها، ثم درس آداب اللغة الفارسية، وعلوم الطب، والعلوم الرياضية والهندسية، فجمع بذلك بين العلوم الشرعية والعلوم المدنية منذ بداية الطلب[3]. وهذا النبوغ المبكر والتفوق في سائر العلوم أهَّلَهُ للتصدُّر لمجالس العلم الشرعية والإفتاء وتأسيس أول مدرسةٍ شرعيةٍ يتخرج منها كبار المدرسين، ومؤسِّسي المدارس في أرجاء الهند[4]، كما أهَّلَهُ «لاستخلاص نهجٍ جديدٍ في النَّظَر والفهم سلكه في محاوراته، وأسَّسَ وفقه كتاباته»[5]. واستطاع بذلك «الاستقلال الفكري والمنهجي الذي خرج به عن النَّسَق المألوف، والقدرة على التجديد في المضمون والبنية على السواء»[6].

---

[1] ينظر: المناظرة الكبرى، تحقيق: ملكاوي: (29-30).

[2] ينظر: أكبر مجاهد: (30).

[3] ينظر: إظهار الحق، مقدمة المحقق: (16).

[4] ينظر المصدر نفسه: (16).

[5] المناظرة الكبرى، تحقيق ملكاوي: (201).

[6] دراسة العقائد، محمد اللافي: (122).

ISSN : 2410-1818

2- ومن جوانب نبوغه أنه كان يتقن اللغات الثلاث الأساسية في الهند: الأوردية، والفارسية، والعربية، وبها ألَّف كتبه، فألَّف إزالة الأوهام بالفارسية مع أنها لم تكن لسانه، وألَّف إزالة الشكوك بالأوردية، وألَّف إظهار الحقِّ بالعربية، وهذا يدلُّ على تمكنه من هذه اللغات.

3- ومما يدل على ذكاءه كذلك ترتيبه المنطقي لموضوعات المناظرة الكبرى - التي أصبحت أبواباً لكتابه إظهار الحق بعد ذلك - وهي: التحريف، ثم النَّسْخ، ثم التثليث والألوهية، ثم النبوة؛ لأنه إذا ثبت تحريف كتابهم كان جديراً بالنسخ، وإذا ثبت التحريف والنسخ بطلت عقيدة التثليث وأُلوهية المسيح التي دلَّ عليها كتابهم، وإذا ثبت جميع ذلك لم يبق لهم دليل على بطلان النبوة[1].

ثالثاً: التأهيل والإعداد الشمولي

اهتم الشيخ -رحمه الله- بإعداد نفسه وتأهيلها تأهيلاً شاملاً، وكأنه يرى أنه خُلِق لأمرٍ عظيمٍ يجب أن يعطيه كل حياته، ومن شواهد هذا الاهتمام:

1- الاهتمام بالعلم الشرعي، وهو الأساس الذي انطلق منه، فنجده يبدأ بحفظ القرآن الكريم منذ الصِّغر، ثم يتضلّع بسلاح العلم الشرعي على يد أكابر العلماء في عصره، حتى أصبح مرجعاً في التدريس والإفتاء[2].

2- الإحاطة بلغات العصر الحيّة التي يتحدث بها أو يكتب بها المنصِّرون، وقد سبق أنه أتقن اللغات الثلاث: الأوردية، والفارسية، والعربية، بل أتقن لغة الكتاب المقدس وهي اللغة العبرية.

3- الاهتمام بعلوم العصر:

لم يكتفِ الشيخ بتعلم العلوم الشرعية -كحال الكثير من علماء عصره- بل تعلّم علوم العصر من الطب، والهندسة، والعلوم الرياضية، على يد أشهر المتخصصين فيها في ذلك الوقت[3]. ولذا عندما هاجر إلى مكة لم يعجبه اقتصار الدراسة على العلوم الشرعية، فسعى بكل جهده في إدخال العلوم الضرورية، وقد تحقق له ذلك، وشهدتِ الجزيرة والحجاز لأول مرةٍ تدريس علوم الفلسفة والرياضة[4].

---

[1] ينظر: إظهار الحق: المقدمة: (90).

[2] ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ: (30).

[3] (ينظر: إظهار الحق، المقدمة: 16).

[4] ينظر: أكبر مجاهد في التاريخ: (49).

ISSN : 2410-1818

رابعاً: الغيرة على الإسلام والدفاع عن العقيدة الإسلامية

نذر الشيخ رحمة الله نفسه للدفاع عن عقيدة الإسلام أمام خصومه في بلاد الهند، ولما كانت موجة التنصير أشد الموجات خطراً على المسلمين أوقف نفسه للتصدي لها، فترك التدريس والتعليم لأجل ذلك، ولما كانت كتب العهدين القديم والجديد التي تسمى بـ«الكتاب المقدس» هي عمدة القوم في التنصير عكف على دراستها دراسةً فاحصةً ناقدة، واستوعب طبعاتها المختلفة، حتى تمكن منها غاية التمكُّن، بل فاق أهلها، واستطاع أن يكتشف ما فيها من الخلل والتحريف، ويبيّن فساد معتقدهم من مصادرهم التي يؤمنون بها، ويزلزل أركان عقيدتهم من خلال القضايا الرئيسة الكبرى، وهي: التحريف والنَّسْخ، والألوهية والتثليث، والقرآن، والنبوة.

وكانت بداية جهوده بالتأليف؛ الأمر الذي زاده رسوخاً وتمكناً في الردِّ على خصومه، فبذل جهوداً شاقةً ومُضْنِيَة، حتى أصابه المرض، وعجز عن القيام والجلوس في الصلاة، كما حدَّث عند تأليف أول كتابٍ له، وهو «إزالة الأوهام»، ولما شفي من المرض أتمَّ تأليف كتابه.

ولما استطار شرُّ القسيس فندر، انتقل إلى مجال المناظرة العلنية، ليزهق الباطل أمام الملأ، ويشفي به الله صدور المؤمنين بانتصار الحق.

يقول عنه مؤلِّف سيرته محمد سعيد محمد سليم: «كان -رحمه الله- مجاهداً عظيماً في سبيل الله، لم يدَّخر جهداً قلَّ أو كثر في خدمة الإسلام والمسلمين، ولم يتوانَ قطُّ عن إعلاء كلمة الله، ولا عن رفع راية الإسلام في عصرٍ من العصور... لم تَرَ الدنيا عبر تاريخها الطويل عظيماً مثله، ومثل ذلك الرجل ربَّما يجود به الدهر بعد مرور سنواتٍ طويلة»[1].

[1] أكبر مجاهد في التاريخ: (74-75).

ISSN : 2410-1818

المسألة الثانية: السِّمات العلمية

أولاً: سعة الاطلاع

كان الشيخ رحمة الله آيةً في الاطلاع، خاصةً على كتب العهدين، وما له صلةٌ بهما، من أقوال المفسرين للكتاب المقدس، أو المؤرخين، أو الناقدين لهما.

ومما يبين ذلك اعتماده في الردِّ على المنصرين على (32) طبعةً من طبعات الكتاب المقدس، بأربع لغات: (13) باللغة العربية، و(8) بالفارسية، و(6) بالهندية، و(5) بالإنجليزية[1]، وكذلك توصُّله إلى حقائق مهمة؛ مثل: فقدان التوراة والإنجيل الأصليّان قبل بعثة النبي ﷺ، وأن بولس من جملة الكاذبين في الطبقة الأولى بعد رفع المسيح عليه السلام، ومن ذلك أيضاً: معرفة عادات علمائهم وحالهم في الترجمة، والخلل الذي وقعوا فيه، وقد بيَّن عادتهم في الترجمة بقوله: «إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جاريةٌ بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم، ويوردون بدلها معانيها، وهذا خبطٌ عظيمٌ ومنشأٌ للفساد»[2]. ومثل هذه النتائج لا يمكن الوصول إليها إلا بالاستقراء التامِّ لكتب العهدين وترجماتها.

وهذه السّعَة والاستقراء جعلت لردوده قوة، بحيث لم يستطع المنصِّرون الرد عليها، وقد تحداهم في كتابه إظهار الحق أن يردوا عليه، ولم يزل هذا التحدي باقياً إلى هذه الساعة.

ثانياً: التفرغ والتخصص

من أعظم أسباب النجاح في الأعمال العظيمة في الأمة: التفرُّغ، والتخصُّص. وقد تحقق ذلك للشيخ رحمة الله؛ فلما رأى شدة هجمة المنصرين على المسلين في بلاد الهند، قرّر التفرُّغ لمقاومة التنصير، فترك جميع أعماله، ومنها التدريس لأجل أن يتفرّغ كُلِّيًّا هذا المشروع، ثم جعل نصبَ عينيه التخصص في هذا المجال، وهو نقد النصرانية من مصادرها الأصلية، وهي كتب العهدين. ومن يدرس كتبه يجد أثر التخصُّص واضحاً، حيث توصل الشيخ إلى أهم المسائل التي وقع النزاع بين المسلمين والنصارى، ثم درسها مسألةً مسألة، وكان كتابه إظهار الحق خلاصةً لهذه الدراسة المتخصصة.

---

[1] ينظر: إظهار الحق، تحقيق: ملكاوي: (83).

[2] (إظهار الحق: (1097/4).

ISSN : 2410-1818

ثالثاً: الاستقلال الفكري

لا شك أن الشيخ رحمة الله استفاد من تراث السابقين من العلماء، لاسيما في الرد على النصارى، إلا أنه لم يقتصر على النَّسَق المألوف في الرد، بل سعى إلى التجديد والإضافة في البنية والمضمون على السواء. وكان تميزه في هذا المجال يعود إلى اهتمامه بنقد النَّصِّ مباشرةً[1].

ومن شواهد تميزه في التأليف أنه يضع للمسائل التي يعالجها المقدمات والتنبيهات المهمة التي تعزز وتوجه الفكرة التي يسعى إلى إثباتها، ثم يطرح الإشكالات والشبهات التي تدور حولها، ثم يجيب عليها، فلا يبقى للخصم قدرةٌ على ردها.

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره من تنبيهاتٍ ثمانيةٍ قبل الحديث عن البشارات التي ساقها في كتابه إظهار الحق، وهذه التنبيهات في غاية القوة، حيث استطاع من خلالها هدم كل حجّةٍ من حجج النصارى في توجيه البشارات الواردة في العهدين بأنها لعيسى، وإثبات أنها لنبينا محمد ﷺ، وقد عبّر عن هذه النتيجة بقوله في آخر التنبيهات: «وإذا عرفت هذه الأمور الثمانية أقول: إن الإخبارات الواقعة في حق محمد ﷺ توجد كثيرة إلى الآن أيضاً مع وقوع التحريفات في هذه الكتب. ومن عرف أولاً طريق إخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر على ما عرفت في الأمر الثاني، ثم نظر ثانياً بعين الإنصاف إلى هذه الإخبارات وقابلها بالإخبارات التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى عليه السلام -وقد عرفت نبذاً منها في الأمر السادس- جزم بأن الإخبارات المحمدية في غاية القوة»[2]. وهذه التنبيهات -في نظر الباحث- مما تفرَّد به، ولم يسبقه إليها أحد[3].

---

[1] ينظر: دراسة العقائد النصرانية، محمد اللافي: (122).

[2] (إظهار الحق: (1115/4).

[3] المصدر نفسه: (1078/4-1115).

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: القواعد المنهجية في الاستدلال بالبشارات

المطلب الأول: القواعد العامة

المسألة الأولى: الاعتماد على المصادر المعتمدة عند النصارى

لما أدرك الشيخ ثقل المسئولية التي تحمَّلها في مقاومة التنصير أعدَّ للأمر عُدَّتَه، وأخذ يجمع النسخ المتوفرة من كتب العهدين، مع ترجماتها المختلفة، ثم اتجه إلى أقوال المفسرين، والمؤرخين، وأصحاب الموسوعات والمعاجم الكبرى ليدرسها دراسةً فاحصةً وينتزع منها ما يدلُّ على بطلان عقائدهم، ويستخرج من أقوال علمائهم المعتبرين عندهم ما يؤيد أقواله وآراءه[1].

ومما يدلُّ على تمكنه من هذه المصادر المعتمدة؛ ما عقده في الباب الأول من كتابه إظهار الحق من الحديث عن كتب العهد القديم والجديد وما يتعلق بها من الأسماء، والنسخ، والتراجم، وغير ذلك من المباحث. وقد أشار-رحمه اللّٰه- إلى هذا المنهج بقوله: «فلنقتصر على هذا القدر من البشارات التي نقلتها عن كتبهم المعتبرة عندهم في زماننا، وأما البشارات التي توجد في كتبٍ أخرى هي ليستْ معتبرةً عندهم في زماننا فما نقلتها»[2]. فهذا النصُّ يدلُّ على المنهجية الدقيقة التي سلكها الشيخ في النقل من مصادرهم، وهي تقوم على ضابطين: الأول: اعتبار المصدر، أي أن يكون المصدر معتبراً عندهم. والثاني: ضابط الزمن، أي أن يكون الاعتبار في زمن المؤلف، وليس قبله. ويدخل في هذه المنهجية كذلك الدقة في النقل من هذه المصادر بذكر القول، والقائل، والمصدر، والنسخة، والصفحة، وحتى سنة الطبع. ومن الأمثلة على ذلك قوله: «قال صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الأول في الصفحة: 46، من النسخة الفارسية المطبوعة سنة 1849م»[3].

ومما يدلُّ على تمكنه من كتبهم المعتمدة وأقوال مفسريهم ومؤرخيهم؛ أنه لم يجرؤ أحدٌ من النصارى -حتى الآن- على الرد على كتابه إظهار الحق-الذي طبق فيه هذا المنهج-، وقد تحداهم على ذلك، وقد علَّل محقق كتابه - الدكتور أحمد ملكاوي - ذلك قائلاً: «لأن الشيخ رحمة اللّٰه درس كتب العهدين دراسةً نقديةً تحليليةً عدة مرات، حتى صار أعلم بها من أهلها»[4]، ولذلك أثنى كثيرٌ

---

[1] ينظر: إظهار الحق، المقدمة: (83).

[2] المصدر نفسه: (1206/4).

[3] المصدر نفسه: (1090/4).

[4] المصدر السابق، مقدمة المحقق: (83-84).

ISSN : 2410-1818

من العلماء على كتابه إظهار الحق، وعدّدوا مزاياه، ومن بينها سعة اطلاع المؤلف على كتب العهدين، وما يتصل بهما، ومن ذلك:

ثناء الشاعر المهتدي أحمد فارس بن يوسف الشدياق، المتوفى سنة (1304) - وكان نصرانياً مارونياً لبنانياً فأسلم، وتسمى بأحمد فارس -، حيث قال: «فإن كثيراً من المصنفين المحققين والمتكلمين المفلقين قد ألّفوا في كشف الحقائق مؤلفاتٍ باهرة، أودعوها بيناتٍ ظاهرة، وبراهين جاهرة، غير أن مصنِّف هذا الكتاب الشيخ رحمة الله أفندي الهندي النقَّاب هو الذي سبق في هذه الحلبة أي سبق، فحُقَّ له أن يسمي مؤلَّفَهُ هذا إظهار الحق، فإنه لم يَرْوِ شيئاً إلا بعد أن تروَّى فيه، وملكه بجميع نواصيه وأقاصيه، فجَّد واستقرأ، وتقصّى وتحرّى... حتى أفحم الخصم بمقوله، وحجَّه بدليله، مما رواه من منقوله، وأوشاه من معقوله، فلم يطق أحدٌ معه معارضةً، ولا مراجعةً، ولا مناقضة، فلله دَرُّهُ من مؤلِّفٍ حَبْرٍ قد أتى بما يستحقُّ أن يكتب بماء الذهب»[1].

المسألة الثانية: حسن التقسيم والتبويب والتقديم

سلك الشيخ رحمة الله في ردوده - مناظرةً كانت أو تأليفاً - منهج التقسيم والتبويب والتقديم للمسائل التي يطرحها، فهو يحدِّد المسائل، ثم يقسِّمها إلى أبواب، ثم يقدِّم لها بأحسن تقديم.

وأكثر ما يظهر هذا المنهج في كتابه إظهار الحق الذي هو آخر كتبه، وأكثرها تحقيقاً وتحريراً وتدقيقاً، ويتجلى ذلك فيما يلي:

1- استيعابه لأهم القضايا الخلافية الكبرى المتنازع عليها بين المسلمين والنصارى، وهي خمس قضايا تمثل عمدة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

2- ترتيب هذه القضايا ترتيباً منطقياً، يراعي الارتباط بين كل قضيةٍ والأخرى. واستخدم في ذلك أيضاً مسلك الهدم ثم البناء. وبيان ذلك: في مسلك الهدم؛ هدم أعظم ركنين في بنيان الديانة النصرانية، وهما: القول بأن الكتاب المقدس كلام الله، وأنه غير محرّف، فأثبت التحريف، وعقد لذلك باب التحريف، ثم هدم الركن الثاني وهو: القول بأن الكتاب غير منسوخٍ من خلال الباب الثاني وهو باب النَّسْخ الذي أثبت فيه النسخ، واستطاع أن ينتزع من علماء النصارى الاعتراف بذلك. وفي مسلك الهدم أيضاً هدم أعظم العقائد النصرانية، وهما عقيدة التثليث وألوهية المسيح عليه السلام من خلال الباب الثالث. وبعد أن أتمَّ مسلك الهدم شرع في مسلك البناء، وأثبت فيه إعجاز القرآن الكريم، ثم النبوة، وهما يمثلان الباب الرابع والخامس. ولما كان عمدة النصارى في إثبات عقائدهم نصوص العهدين قدَّم لكتابه بابٍ مستقلٍّ

[1] إظهار الحق، مقدمة المحقق: (76).

ISSN : 2410-1818

بيّن فيه أحوال هذه الكتب، وانقطاع سندها، وخطأ دعوى إلهاميتها، وجعل هذا الباب بمثابة المقدمة الضرورية للأبواب الخمسة التالية[1].

وأما ما يتعلق بالمقدمات، فإنه يضع المقدمات الضرورية التي تعين على تصور المسألة التي يريد إثباتها أو نفيها، وعلى سبيل المثال: لما تحدث في كتابه إظهار الحق عن القضايا الخمس الكبرى قدَّم لها ببابٍ ماتعٍ عن أحوال كتب العهد القديم والجديد، وأظهر في هذا الباب تبحُّرَهُ في معرفة هذه الكتب واستيعابه لها، وأستطاع أن يهدم أهم الدعاوى المتعلقة بمصدرية هذه الكتب وكونها وحيٌ من الله- كما يزعم النصارى- وبين وجه الحق في هذه المسائل بمنهجٍ علميٍّ دقيقٍ وتحقيقٍ أصيلٍ لم يسبق إليه بمثل هذا التفصيل، فأثبت عدداً من الحقائق المهمة، ومنها:

1- لا يوجد عند أهل الكتاب سندٌ متصلٌ لكتابٍ من كتب العهدين القديم والجديد.

2- أن هذه الكتب مملوءةٌ بالاختلافات والأغلاط.

3- لا مجال لادِّعاء أهل الكتاب أن كتب العهدين كتبت بالإلهام. وبهذا يعلم أن هذا الباب هو المقدمة المنطقية الضرورية للحديث عن التحريف والنسخ وهدم عقيدتي التثليث وألوهية المسيح.

ولما تحدث عن بشارة الأنبياء السابقين بالنبي ﷺ قدم لذلك بثمانية تنبيهات، كلها يؤكد بالبراهين القاطعة على حقيقتين: الأولى: ضرورة أن يكون الأنبياء السابقين قد بشَّروا بالنبي ﷺ. والثانية: أن أهل الكتاب أخفوا هذه البشارة أو تأوّلوها لغير النبي ﷺ. وكانت هذه التنبيهات تهيئةً لقبول البشارات الدالّة على نبوته ﷺ.

المسألة الثالثة: الردُّ على الشبهات والاعتراضات

يتميز منهج الشيخ رحمة الله باستحضار الشبهات، والإشكالات، والاعتراضات التي يوردها الخصم، ثم الرد عليها رداً علمياً متيناً متسلّحاً بسلاح نصوص كتبهم التي تنقض مزاعمهم.

ففي الباب الخامس من كتابه إظهار الحق عقد فصلاً عن الأمور التي تدلُّ على أن القرآن الكريم كلام الله، ثم أعقبه بفصلٍ كاملٍ عن رفع شبهات القسيسين على القرآن، وذكر تحته خمساً من شبهاتهم، ثم رد عليها رداً علميا مفصلاً، وكذلك فعل في الشبهات التي تتعلق بالسنة النبوية[2].

---

[1] ينظر: مقال بعنوان: تقرير حول كتاب إظهار الحق، د. هيثم عبدالرحمن عبدالقادر، شبكة الألوكة، في: 1443/10/10هـ.
[2] ينظر: إظهار الحق: (829/3 وما بعدها).

ISSN : 2410-1818

وبعد أن تحدث عن البشارة بالنبي ﷺ في كتب العهدين، وذكر ثماني عشرة بشارةً عقَّب عليها بذكر الشُّبَه والرد عليها كذلك مستنداً على النصوص الواردة في كتبهم، وعلى لسان كبار علمائهم[1].

ومن خلال دراسة منهج الشيخ في رد الشبهات يتبين أنه يقوم على أسسٍ علميةٍ متينة، من أهمها:

1- الاستقراء التامُّ لمصادر الخصم، وجمع الشبهات الواردة في ذات الموضوع.

2- تقرير الشبهات تقريراً علمياً، من خلال كتبهم، بذكر المصدر، والقائل بتلك الشبهة، وذكره قوله بالنص.

3- النظر في كلام الخصم في جميع المواضع الأخرى، واستقراء ما ورد عنه في موضوع الشبهة، أو في غيرها.. والغرض من هذا الاستقراء، اكتشاف تناقضاته، أو بناء الرد على ما يسلم به.

4- تحليل الشبهة وتفريعها، من أجل الرد عليها.

5- نقض الشبهة بالتفصيل من خلال النصوص، واستناداً إلى ما يسلّم به الخصم.

6- ذكر الأدلة المستقلة التي تؤيد دفع الشبهة، وتبين الحق في المسألة المطروحة.

ومن الأمثلة التي تبين ذلك المنهج: أنه لما ذكر بشارة الإنجيل بالنبي ﷺ، وأنه المراد ب «الفارقليط» الوارد في إنجيل يوحنا، قال:

1- «الشبهات التي يوردها علماء البروتستانت فخمسة...»، ثم ذكرها شبهةً شبهة. وهذا يدلُّ على الاستقراء لما كتبه علماء البروتستانت من الشبهات حول هذه البشارة.

2- نقل نص الشبهة بقوله: الشبهة الأولى: «جاء في هذه العبارة تفسير فارقليط بروح القدس وروح الحق، وهما عبارتان عن الأقنوم الثالث... الخ»[2].

3- جمع جميع كلام صاحب الشبهة -وهو القس فندر- وأنه يدعي أن روح القدس، وروح الحق، وروح الصدق، وروح فم الله بمعنىً واحد، ولم يقطع بصحة كلامه أو عدمها، ولكنه سلَّم بذلك على سبيل

---

[1] المصدر نفسه: (1198/4 وما بعدها).

[2] إظهار الحق: (1198/4).

ISSN : 2410-1818

التنزُّل مع الخصم لينتقل إلى القضية الأهم، وهي ادعاءه أن استعمال هذه الألفاظ في كل موضعٍ من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث[1].

4- ثم نقض هذه الدعوى وبين أن هذه الألفاظ تستعمل في العهدين، ويراد بها غير الأقنوم الثالث، ثم ذكر الأدلة على ذلك، وحاصلها أنها تدلُّ على معانٍ أخرى، مثل: النفس الناطقة الإنسانية، الواعظ الحق، والواعظ الصادق[2].

5- من خلال ما سبق توصَّل إلى نتيجة، وهي: أن تفسير الفارقليط بروح القدس وروح الحق -على التسليم به - لا يضر؛ لأنه بمعنى الواعظ الحق، فيصحُّ اطلاقها على النبي ﷺ بلا ريب.

وكما يرد الشيخ على الشبهات الوردة من الخصم، يرد كذلك على الإشكالات الواردة من علماء النصارى، فيورد الإشكال، ثم يقرره، ثم يرد عليه بنفس المنهج السابق.

فبعد أن ذكر الشيخ الأوجه العشرة في الاستدلال بالبشارة الأولى على أن المراد بها النبي ﷺ ذكر اعتراض علمائهم بأن إخوة بني إسرائيل لا تنحصر في بني إسماعيل، ثم أجاب على ذلك، وقال بعدها: «ولعلماء البروتستانت اعتراضان نقلها صاحب الميزان في كتابه المسمّى حلّ الإشكال في جواب الاستفسار»، ثم أجاب عنها[3].

المطلب الثاني: قواعد النقد الذاتي للنصوص

من أعظم ما تميز به الشيخ - رحمه الله - في كتبه عموماً، وفي استدلالاته بالبشارات على نبوة النبي ﷺ على وجه الخصوص منهج النقد الذاتي، أو ما يسمى بالنقد الباطني، الذي يقوم على توجيه النظر إلى النصِّ ذاته، للاستدلال به على المسألة المطلوبة، أو نقض ادّعاءٍ من دعاوى الخصم، أو بيان أوجه الخلل في ذلك النص، من اختلاف، أو تناقض، أو غير ذلك، وقد استفاد الشيخ من مناهج النقد الباطني للكتاب المقدس (Textual Criticism) التي كانت تروّج في أوروبا في القرن التاسع عشر، وما توصلت إليه من نتائج، ومنها: أن التحريف اللفظي وقع في الكتاب المقدس باعتراف جهابذة

---

[1] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه: (4/1199-1200).

[3] إظهار الحق: (4/1128 وما بعدها).

ISSN : 2410-1818

القسيسين أنفسهم واستفاد كذلك من الموسوعة البريطانية (Encyclopedia Britannica)[1] في إثبات آراء متناقضةٍ حول الكتاب المقدس[2].

ويقصد بالنقد الباطني: نقد النصِّ من داخله، بالنظر إلى النصِّ ذاته، لمعرفة التناقضات، والاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها بحالٍ من الأحوال؛ لكونها تصادم العلوم والقوانين الثابتة[3]، وقد تميز الشيخ في مجال نقد النص الديني، حتى عُدَّ من روادِه[4]، ومن أبرز معالم هذا المنهج -في نظر الباحث- ما يأتي:

المسألة الأولى: تحليل النص

امتلك الشيخ رحمة الله قدرةً فائقةً على تحليل نصوص العهدين، وفكِّ المصطلحات الواردة فيها، والاستدلال بها، أو عليها بالنصوص الأخرى. ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره في البشارة السادسة الواردة في الزَّبور الخامس والأربعين، ونصُّها: «فاض قلبي كلمة صالحة أقول أنا أعمالي للملك لساني قلم كاتب سريع الكتابة بهي في الحسن أفضل من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك استلَّه، وانجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك...»[5].

ذكر الشيخ هذا النصَّ ثم قال بعدها: «وهذا النصُّ مسلَّمٌ عند أهل الكتاب أن داود عليه السلام يبشِّر في هذا الزبور بنبيٍّ يكون ظهوره بعد زمانه، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبيٌّ يكون موصوفاً بالصفات المذكورة في هذا الزبور. ويدّعي علماء البروتستانت أن هذا النبي عيسى عليه السلام، ويدّعي أهل الإسلام سلفاً وخلفاً أن هذا النبي محمد ﷺ»[6].

---

[1] هي أدق وأقدم الموسوعات طباعة باللغة الإنجليزية صدرت بين عامي (1768و1771م)، ويطلق عليها بالعربية: (دائرة المعارف البريطانية). ينظر: معجم الأفكار والأعلام، هتشتسون: (498)، والموسوعة الحرة (ar.wikpedia.org).

[2] ينظر: النقد الإسلامي للعهد القديم، عبدالكبير حسين صالح: (196)، مجلة الحكمة، عدد:9، 2017م).

[3] ينظر: منهج الشيخ رحمة الله الهندي في نقد الإنجيل، د. عرفات أحمد مقبل حسان (1372)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلد السابع، عدد: 2، ديسمبر 2019م).

[4] ينظر: المصدر نفسه (1355).

[5] (1/45-6).

[6] إظهار الحق: (1144/4).

ISSN : 2410-1818

وبعد ذلك قام الشيخ بتحليلٍ دقيقٍ لهذا النص، واستنبط منه سبعة عشر وجهاً، تدل على أن الموصوف بهذه الصفات هو النبي ﷺ [1].

وبعد هذه الأوجه استدلَّ على صحتها أيضاً بما ورد في النصوص الشرعية. ومن ذلك أيضاً تحليل لفظ «الفارقليط»، والرجوع إلى الجمل التي جاءت أوصافاً لهذا الفارقليط، والمحصّلة من ذلك كله أن هذا الوصف لا ينطبق على غير النبي ﷺ، وسوف يذكر الباحث ذلك في المبحث التالي.

المسألة الثانية: المقارنة بين النصوص

تميز الشيخ -في سياق نقده للنصوص- بالمقارنة الدقيقة بين النصوص إلى الحدِّ الذي بلغ الاستقصاء -فيما يظهر للباحث-، ولا شك أنه لم يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد الاستقراء التامِّ لهذه النصوص، فلا يكاد يذكر نصًّا إلا ويقارنه بنصوص أخرى، موافقةٍ له أو مخالفة، وهذه المقارنات الدالة على استيعابه للنصوص أدَّتْ إلى نتائج تُعدُّ من صميم إبداعه وتحرُّره الفكري، ومن أهم ما توصل إليه من نتائج:

1- اكتشاف الحقائق التي يريد إثباتها.

2- نقض دعوى الخصم التي يوردها حول النصوص.

3- التوصل إلى استنباطاتٍ فريدة.

أمثلةٌ على بعض النتائج التي توصل إليها من خلال المقارنة بين النصوص:

1- أن لفظ «روح القدس»، و «روح الحق» تستعمل في الكتاب المقدس لغير الأقنوم الثالث (الروح القدس)، وقد عدد عدة معاني لها غير الأقنوم الثالث، وفي هذه النتيجة ردَّ على دعوى فندر أنها لا تأتي إلا بمعنى الأقنوم الثالث[2].

---

[1] المصدر السابق: (1144/4 وما بعدها).

[2] ينظر: المصدر السابق: (1198).

ISSN : 2410-1818

2- أن لسان عيسى عليه السلام هو اللسان العبراني الذي كان لسان قومه، ولم يتكلم باليوناني، وأن نقل أقواله في هذه الأناجيل في اللسان اليوناني نقلٌ بالمعنى. وفائدة هذه النتيجة: أنه لا يستبعد الخطأ في الترجمة، وبالتالي لا يستبعد الخطأ في نقل اسم النبي ﷺ (المبشَّر به) إلى غيره[1].

3- اكتشافه -من خلال المقارنة- إلى ما في هذه النصوص من أخطاء، وحصيلة ذلك: (125) اختلاف، و(110) غلط، و(35) شاهد على التحريف اللفظي بالتبديل، و(45) بالزيادة و(20) بالنقصان. وقد بيّن ذلك كله في كتابه إظهار الحق، ولم يجد الباحث من سبقه إلى ذلك بمثل هذا التفصيل، فهو من ابتكاره، واستقلاله الفكري[2].

4- من دقائق مقارناته بين النصوص معرفة ما اتفق على نقله أصحاب الأناجيل، وما اختلفوا في نقله، بل معرفة ما تفرّد به كل ناقلٍ من أصحاب هذه الكتب. يقول عن ذلك: «فإنهم قد يتفقون على نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب إلى أورشليم، اتفق على نقله الأربعة، وقد يتخالفون في نقل الأحوال العظيمة...»، ثم ذكر بعد ذلك ما تفرّد به كل واحدٍ من أصحاب الأناجيل الأربعة[3]. وهذا القدر يبين لنا عنايته الشديدة بمنهج المقارنة بين النصوص للوصول إلى نتائج حاسمةٍ في الرد على خصومه. ولم تقتصر المقارنة عنده على النصوص، بل تعدت إلى المقارنة بين التراجم المختلفة لمعرفة ما بينها من اختلافات، فقد يطلع في رده على الخصم على عدة تراجم أو نسخٍ لمعرفة الاختلافات بينها، وبسبب اطلاعه الواسع على هذه التراجم توصل إلى نتائج مهمة، مثل معرفة عادة أهل الكتاب في ترجمة الأسماء. وقد بين ذلك بقوله: «إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جاريةٌ بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم، ويوردون بدلها معانيها، وهذا خبطٌ عظيمٌ ومنشأٌ للفساد، وأنهم يزيدون تارةً شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون إلى الامتياز، وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم»[4].

---

(1) إظهار الحق: (1105/4).

(2) ينظر: الجزء الأول من إظهار الحق: (للاختلافات: 168 إلى 244، والأغلاط: 257إلى 350، والتحريف اللفظي بأنواعه: 429 إلى 539).

(3) إظهار الحق: (1204/4).

(4) سبق ذكره ص: (15).

ISSN : 2410-1818

المسألة الثالثة: نقد النصوص بالمقارنة بالحقائق الثابتة

تميز الشيخ رحمة الله بنظرته الفاحصة الدقيقة لكل نصٍّ من النصوص التي يطلع عليها، ومقارنتها بالمعلوم بالضرورة من الحقائق الثابتة، والاستدلال بذلك على صحتها أو فسادها، مستخدماً دلالة العقل، والتاريخ، والحقائق العلمية الثابتة، وقد سلك هذا المسلك كثيراً في نقد نصوص أهل الكتاب. ومن الشواهد على ذلك ما يأتي:

1- ذكر في سياق إخبار الأنبياء المتقدمين بنبوة النبي ﷺ أنهم أخبروا عن حوادث ضعيفة، مثل حادثة بختنصر، وقورش، وإسكندر، وغيرها من الحوادث الضعيفة، ثم قال: «ويبعد كل البعد ألا يخبر أحدٌ منهم عن خروج محمد ﷺ الذي ذاع صيتُه في أرض الشام التي هي الأوطان الأصلية للأنبياء، وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث... فكيف يجوِّز العقل السليم أنهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الإخبار عن هذه الحادثة العظيمة»[1].

وهنا استدلَّ بالعقل على أن الأنبياء لابد أن يكونوا قد أخبروا عن نبوة النبي ﷺ.

2- وفي سياق إثباته أن الشعب الجاهل الذي جاء ذكره في البشارة الثانية هم العرب استدلَّ بالحقائق التاريخية الثابتة؛ لأنه من المعلوم أنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وليس عندهم علمٌ من العلوم الشرعية أو العقلية، وعن طريق الاستدلال التاريخي نفى زعم بولس أن الشعب الجاهل هم اليونانيون؛ لأنه من المعلوم بالضرورة من التاريخ أن اليونانيين قبل ظهور عيسى عليه السلام بأزيدَ من ثلاثمائة سنة متفوقون على أهل العالم في العلوم والفنون، وكان جميع العلماء والحكماء المشهورين منهم، وكان اليونان في عهده (بولس) على غاية درجة الكمال في فنونهم[2].

---

[1] إظهار الحق: (1079/4).

[2] ينظر: إظهار الحق: (1133/4-1134).

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: نموذجان تطبيقيان من البشارات

المطلب الأول: بشارةٌ من العهد القديم

من أهمِّ البشارات الواردة في العهد القديم في شأن النبي ﷺ البشارة الواردة في سِفْر التثنية، ونصُّها: «أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩ وَيَكُونُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِٱسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. ٢٠ وَأَمَّا ٱلنَّبِيُّ ٱلَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِٱسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ بِٱسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ ٱلنَّبِيُّ. ٢١ وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ ٱلرَّبُّ؟ ٢٢ فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ ٱلْكَلَامُ ٱلَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ ٱلرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُ»[1].

وقد أثبت الشيخ أن هذه البشارة هي للنبي ﷺ من عشرة أوجه، واستخدم عدداً من القواعد المنهجية، ومنها:

القاعدة الأولى: الرد على الشبهات

بدأ الشيخ في إثبات هذه البشارة للنبي ﷺ بدفع شبهات أهل الكتاب بأنها ليوشع أو عيسى عليه السلام، مستدلاً على ذلك بنصوص الكتاب المقدّس المسلَّم بها عندهم، ومنها ما يدلُّ على أن اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشَّراً به، وكان هذا المبشَّر به غير المسيح عليه السلام، فلا يكون المبشَّر يوشع ولا عيسى عليه السلام [2].

القاعدة الثانية: النقد الباطني للنص

استخدم الشيخ منهج نقد النص من خلال الفحص الدقيق للنص؛ بتحليل ألفاظه، ثم الاستدلال به على أن المبشَّر به النبي محمد عليه السلام، من خلال النصوص الأخرى من كتب العهدين، وفي هذا السياق قام بفحص ألفاظٍ عدةٍ تؤكد ثبوت هذه البشارة للنبي ﷺ، وهي: «وسوف أقيم»، «نبياً مثلك»، «من

---

[1] (18/18).

[2] ينظر: إظهار الحق: (1116/4).

ISSN : 2410-1818

وسط أخوتهم»، «واجعل كلامي في فمه»، «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»، « ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه»[1].

وفي سياق تحليل الألفاظ قام بتحليل لفظ «نبياً مثلك» واستخدم منهج المقارنة بين موسى عليه السلام وكلاً من يوشع وعيسى عليهما السلام، من خلال نصوص العهدين، وتوصل إلى نتيجةٍ بيّنها بقوله: «ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصحّ أن يكونا مثل موسى عليه السلام»[2]، ثم أورد الأدلة على ذلك، ومنها:

1- لأنهما من بني إسرائيل، ولا يجوز أن يقوم أحدٌ من بني إسرائيل مثل موسى عليه السلام، كما دلت على ذلك الفقرة العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية[3].

2- لا مماثلة بين يوشع وموسى عليهما السلام، لأن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة، ويوشع ليس كذلك، بل هو متبعٌ لشريعته. وكذلك لا توجد مماثلةٌ بين موسى وعيسى عليهما السلام، لأن عيسى عليه السلام كان رباً -على زعم النصارى-، وموسى كان عبداً له، وعيسى عليه السلام كان ملعوناً لشفاعة الخلق[4]، وموسى ما صار ملعوناً لشفاعتهم، ولأن عيسى عليه السلام دخل الجحيم -على زعم النصارى-، وموسى ما دخل الجحيم، ولأن عيسى عليه السلام صُلب -على زعمهم-، وموسى عليه السلام ما صلب، ولأن شريعة موسى عليه السلام مشتملةٌ على الحدود والتعزيرات، وشريعة عيسى عليه السلام ليست كذلك، ولأن موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك، ولأن موسى عليه السلام ولد من أبوين، وعيسى عليه السلام ولد بلا أب[5].

ثم سار على هذا المنهج في بقية الألفاظ، وبين أنها لا تصحُّ ليوشع وعيسى عليهما السلام، كما ادعى علماء النصارى.

---

[1] ينظر: المصدر السابق: (1116/4 وما بعدها).

[2] إظهار الحق: (1116/4).

[3] الفقرة الواردة هي: «ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرفه الرب وجهاً لوجه».

[4] هذا الوصف إشارة إلى ما ذكره بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (13/3)، وفيه: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علّق على خشبة».

[5] إظهار الحق: (1117/4-1118)، بتصرف.

ISSN : 2410-1818

القاعدة الثالثة: استخدام منهج المقارنة لإثبات أن المماثلة لموسى عليه السلام لا تصدق إلا على نبينا محمد ﷺ

بعد أن نفى الشيخ مزاعم علماء النصارى في أن هذه البشارة ليوشع أو عيسى عليهما السلام من خلال الأدلة التي تدلُّ على ذلك من كتبهم، ومن خلال التحليل الدقيق لألفاظ البشارة كذلك، ومنها لفظ: (مثلك) الذي توصل منه أنه لا مماثلة بين موسى عليه السلام وبين يوشع أو عيسى عليهما السلام؛ بدأ في المقارنة بين موسى وبين النبي ﷺ للوقوف على مدى المماثلة بينهما، وتوصل إلى: ثبوت هذه البشارة في حق النبي محمدٍ ﷺ، وأنها ثابتةٌ في حقِّه على أكمل وجه، وأن المماثلة بينه وبين النبي ﷺ تامة، وعدد في ذلك واحداً وعشرين وجهاً، لم يسبق إلى مثلها -فيما أعلم-.

ومن أوجه المماثلة التي ذكرها عن النبي ﷺ:

1- كونه عبدُ الله ورسوله.

2- كونه ذا والدين.

3- كونه ذا نكاحٍ وأولاد.

4- كون شريعته مشتملةً على السياسات المدنية.

5- كونه مأمورٌ بالجهاد[1].

وبهذه المقارنة الدقيقة يتبين لكلِّ من له حظٌّ من العقل، أن هذه البشارة لا يمكن أن تصدق على أحدٍ غير رسول الله ﷺ.

[1] المصدر السابق: (4/1122وينظر بقية الأوجه بعدها).

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: بشارة العهد الجديد

استدلّ الشيخ رحمة الله على نبوة النبي ﷺ بنصوصٍ من العهد الجديد كذلك، ومن أهم هذه البشارات؛ البشارة الواردة في إنجيل يوحنا، وقد تفرّد بها دون سائر أصحاب الأناجيل[1]. وهذه البشارة من أعظم البشارات، وأشهرها، وأطولها؛ ولأهميتها أطال الشيخ في الحديث عنها[2].

وقد ورد في هذه البشارة لفظ «الفارقليط»، وبه استدلَّ الشيخ على نبوة النبي ﷺ، وبنى هذا الاستدلال على قواعد منهجية، ومنها:

القاعدة الأولى: جمع النصوص الواردة في شأن الفارقليط، وهي ثلاثة نصوص:

النص الأول: «(15) إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي (16) وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد (17) روح الحق الذي لا يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه مقيمٌ عندكم وهو ثابتٌ فيكم... (26) والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم (30) والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا»[3].

النص الثاني: (26) «فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الآب ينبثق هو يشهد لأجلي (27) وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء»[4].

النص الثالث: «(7) لكني أقول لكم الحق إنه خيرٌ لكم أن أنطلق لأني إن لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم (8) فإذا جاء ذاك فهو يوبّخ العالم على خطيَّةٍ وعلى برٍّ وعلى حكم (9) أما على الخطيّة فلأنهم لم يؤمنوا بي (10) وأما على البرِّ فلأني منطلقٌ إلى الآب ولستم ترونني بعد (11) وأما على الحكم فإن أركون هذا العالم قد دينه (12) وإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن (13) وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق

---

(1) ينظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، د. محمد ملكاوي: (233).
(2) ينظر: بشرية المسيح ونبوة محمد، د. محمد ملكاوي: (238)، مناظرة بين الإسلام والنصرانية: (231-232).
(3) يوحنا (14/15-30).
(4) يوحنا (15/26-27).

ISSN : 2410-1818

لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي (14) وهو يمجِّدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم (15) جميع ما هو للآب فهو لي فمن أجل هذا قلت إن مما هو لي يأخذ ويخبركم»[1].

القاعدة الثانية: وضع المقدمات قبل الاستدلال

قدم الشيخ بين يدي الاستدلال بالألفاظ الواردة في هذه النصوص بمقدمتين لهما ارتباطٌ وثيقٌ بتفسير لفظ الفارقليط.

المقدمة الأولى: أن عادة أهل الكتاب أن يترجموا غالباً الأسماء، وأن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني، لا اليوناني، وعليه فلا يبقى شكٌّ أن يوحنا ترجم هذا اللفظ إلى اليوناني، ثم مترجمو العربية عرَّبوا هذا اللفظ إلى الفارقليط، وفي هذه المقدمة ذكر الشيخ دعوى أحد القسس، ثم ردَّ عليها، وملخص الدعوى: أن لفظ فارقليط معرَّبٌ من اليوناني، وأن أصله اليوناني هو (باراكلي طوس)، ومعناه: المُعزِّي والمعين والوكيل، بينما جعل المسلمون أصل هذا اللفظ (بيركلوطوس) الذي معناه قريبٌ من معنى محمد وأحمد، فادَّعَوا أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد وأحمد، والصحيح أن أصل اللفظ (باراكلي طوس) الذي معناه المعزي.

ثم ردَّ الشيخ هذا الزعم بأن الحروف اليونانية متشابهة، وتبدل لفظ (بيركلوطوس) (الذي يعني محمد وأحمد) إلى (باراكلي طوس) في بعض النسخ واردٌ من الكاتب، ثم رجَّح أهل التثليث هذه النسخة التي فيها (باراكلي طوس) على النسخ الأخرى، ووقوع هذا الأمر من أهل الديانة (ترجمة الأسماء) ليس ببعيد، بل هو من المستحسنات.

[1] يوحنا: (16/7-15).

ISSN : 2410-1818

المقدمة الثانية: أن انتظار الفارقليط كان موجوداً منذ القرون المسيحية الأولى إلى الوقت الذي بعث فيه النبي ﷺ، ثم استشهد على ذلك بأدلةٍ، منها:

1- ادَّعى «منش» المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد في قرب سنة 177م أنه الفارقليط الذي وعد بمجيئه عيسى عليه السلام، وتبعه أناسٌ كثيرون، كما جاء ذلك في كتب التواريخ. وقد ذكر «وليم ميور» حال ذلك الرجل وحال متبعيه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه باللغة الأوردية[1].

2- ذكر صاحب لُبِّ التواريخ «أن اليهود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنبي، فحصل لمحمدٍ (ﷺ) من هذا الأمر نفعٌ عظيمٌ لأنه ادَّعى أنه هو ذاك المنتظر»[2].

ومحصِّلة الخبرين السابقين تؤكد أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون الفارقليط منذ القرون المسيحية الأولى، إلى زمن النبي ﷺ.

3- أن أهل الكتاب - علماءهم وحتى ملوكهم - كانوا ينتظرون مبعث هذا النبي ﷺ، ومنهم من أقرَّ بنبوته وأسلم؛ كالنجاشي، ومنهم من أقرَّ ولم يسلم؛ كالمقوقس -عظيم القبط-، واستشهد بشهادة الجارود بن العلاء- وهو سيد عبد القيس وأحد الفرسان المخضرمين في الجاهلية والإسلام - بأنه وجد وصف النبي ﷺ في الإنجيل، وأنه قد بشَّرَ به المسيح عليه السلام. وبهذه المقدمة تسقط دعوى أهل الكتاب بأن الفارقليط هو الروح القدس.

القاعدة الثالثة: تحليل لفظ الفارقليط، والانطلاق من الأمور المتفق عليها بشأنه:

توصل الشيخ -عند تحليل لفظ الفارقليط- إلى ما يلي:

1- أن أصل اللفظ لابد أن يكون عبراني، لأنه لسان عيسى عليه السلام، وهذا الأصل مفقود، وبالتالي لا محل للتعويل عليه.

2- الأصل الموجود اللفظ اليوناني، المترجم عن العبراني، وهذا الأصل إما أن يكون (بيركلوطوس)، ويكون معناه في العربية محمد، أو (بارا كلي طوس)، ومعناه المعزّي والمعين والوكيل. وعلى المعنى الأول فلا إشكال في أن البشارة بمحمد ﷺ، وهي ظاهرة، ولكن أهل الكتاب لا يلتزمون هذا المعنى

---

[1] (إظهار الحق: (1188/4)

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ISSN : 2410-1818

فلا يعوّل عليه كذلك. ويبقى المعنى الذي يلتزمونه وهو (بارا كلي طوس) أي: المعزي، وهو ما سيكون الرد عليه فيما سيأتي.

القاعدة الرابعة: الرد على دعوى النصارى أن الفارقليط هو المعزي

ادَّعى علماء النصارى أن أصل لفظ الفارقليط الكلمة اليونانية (بارا كلي طوس)، وأن معناه: المعزي، وادعوا أن المعزي هو الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار، كما جاء في سفر الأعمال[1].

وقد فَنَّدَ الشيخ هذه الدعوى، وأثبت أن المراد بالمعزي هو النبي ﷺ؛ من خلال النقد الذاتي للنصِّ الذي يقوم على فحص الألفاظ التي ورد فيها ذكر الفارقليط، ومن الشواهد الدالة على أن المبشر به هو النبي ﷺ:

1- أن عيسى عليه السلام قال أولاً: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي)، ثم أخبر عن الفارقليط. فدلَّ على أنه يأتي بعده.

2- أنه قال: (هو يذكركم كل ما قلته لكم). ولم يثبت في رسالةٍ من رسائل العهد الجديد أن الحواريين قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام، وأن هذا الروح النازل يوم الدار قد ذكّرهم إياه[2].

وليس الغرض استعراض تفصيل تلك الشواهد، وإنما توضيح المنهج الذي سار عليه الشيخ في نقد دعوى علماء النصارى[3].

---

[1] ينظر: سفر الأعمال: (2/1-4).

[2] إظهار الحق: 4/1192-1194).

[3] ينظر: بقية الشواهد في إظهار الحق: (4/1197) وما بعدها).

ISSN : 2410-1818

الخاتمـــــــة

في نهاية البحث توصّل الباحث إلى عددٍ من النتائج، منها:

1- أن كتب العهدين رغم ما أصابها من التحريف إلا أنها تتضمّن بقايا من الحق، ومنها ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ.

2- من أعظم البشارات في كتب أهل الكتاب البشارة الواردة في سفر التثنية (18/18)، وإنجيل يوحنا (14/15-30)، وقد بيّنها الشيخ أحسن بيان.

3- اعترف الكثير من المعاصرين أن الشيخ رحمة الله الهندي يعدُّ بحقٍّ رائد علم الأديان في عصره، وأن كتابه (إظهار الحق) أفضل ما أُلِّفَ في هذا المجال.

4- أن الشيخ رحمة الله الهندي قد اتّصفَ بصفاتٍ شخصيةٍ وعلميةٍ عظيمةٍ أهَّلَتْهُ للريادة في مجال علم الأديان، ومن أبرز الصفات الشخصية: الإخلاص لله تعالى، والنبوغ والذكاء، والتأهيل والإعداد الشمولي، والغيرة على الإسلام والدفاع عن العقيدة، ومن الصفات العلمية: سعة الاطلاع، والتفرُّغ والتخصُّص، والاستقلال الفكري.

5- مما تميز به نقد الشيخ رحمة الله الهندي نقد النص الذاتي، ومن خلاله استطاع اكتشاف الكثير من التناقضات والاختلافات، والأخطاء في كتبهم.

6- من النتائج التي توصل إليها الشيخ في نقده لكتب العهدين معرفة عادة علمائهم في الترجمة، ومعرفة حقيقة بولس ورسائله.

التوصيات:

1- إجراء المزيد من الدراسات حول منهج الشيخ رحمة الله الهندي النقدي في مجالاتٍ أخرى مثل: منهجه في نقد عقيدة ألوهية المسيح، والتثليث، ومنهجه في إثبات النبوة، وغيرها من المجالات التي تعرض لها في نقده.

2- إبراز أهمية كتابه إظهار الحق لطلاب العلم من خلال الندوات والمحاضرات وغيرها، والاستفادة من مادته في الرد على النصارى في الوقت الحاضر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

ISSN : 2410-1818

المراجع

الكتب:

1. إظهار الحق. رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق: د. محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، طبع ونشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط:4، 1424هـ.
2. أكبر مجاهدٍ في التاريخ الشيخ رحمة الله الهندي. محمد سعيد محمد سليم، سعى في ترجمته ونشره: د. أحمد السقّا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة النهضة العربية، ط: 1397هـ.
3. بشرية المسيح ونبوة محمدٍ ﷺ في نصوص كتب العهدين (القسم الثاني من المناظرة بين العلامة الشيخ رحمة الله الهندي والقسيس الدكتور فندر. د. محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط:1، 1413هـ.
4. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم. د. أحمد محمود الساداتي، مكتبة الآداب-القاهرة، ط: 1377هـ.
5. الجواب الصحيح لمن بدَّلَ دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي حسن ناصر وآخرين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط:1، 1414هـ.
6. دراسة العقائد النصرانية: منهجية ابن تيمية ورحمة الله الهندي. محمد الفاضل بن علي اللافي، المعهد العالي للفكر الإسلامي- الولايات المتحدة الأمريكية، ط: 1، 1428هـ.
7. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ.
8. الطبقات، ابن سعد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1421هـ.
9. الكتاب المقدس، إشراف بولس باسيم (النائب الرسولي للاتين)، دار المشرق، بيوت-لبنان، ط: 7، 2004م.
10. معجم الأفكار والأعلام. هتشتسون، ترجمة: خليل راشد الجوسي، مراجعة وتدقيق: رانية نادر، نشر: دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط: 1، 2007م.
11. مناظرةٌ بين الإسلام والنصرانية (مناقشةٌ بين مجموعةٍ من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: 1407).
12. منهج دراسة الأديان بين الشيخ رحمة الله الهندي والقس فندر (رسالة ماجستير). شريف مسعد فياض عبدالفتاح، جامعة الأزهر، كلية العلوم-قسم الفلسفة الإسلامية، 1437هـ.
13. الموسوعة العربية الميسرة.

ISSN : 2410-1818

14. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر. عبدالحي بن فخر الدين الحسنى الطالبي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، 1420هـ.

البحوث والمقالات:

1. تقرير حول كتاب إظهار الحق، د. هيثم عبدالرحمن عبدالقادر، شبكة الألوكة (www.alukah.net)، بتاريخ: 1443/10/10هـ (2022/5/11م).
2. رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق: النقد الإسلامي للعهد القديم والجديد، أ.د عبد الكبير حسين صالح، مجلة الحكمة، عدد: 9، الجزء: 2، 2017م.
3. منهج الشيخ رحمة الله في نقد الإنجيل. د. عرفات أحمد مقبل حسان، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، المجلد:37، العدد: 2، في ديسمبر 2019م.

المواقع الإلكترونية:

الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2020	2021	2022	2023	2024
معامل أرسيف	0.0366	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068
معامل التأثير العربي	1.60	1.60	1.73	1.25	1.55